الطويسيون

يستطيع علماء النفس أن يجدوا مادة ذات بال لابحاثهم في ظاهرة انسانية اجتماعية تتسع لما يتيسر من الجهد والاجتهاد. ولن اذهب بعيدا لالتقاط نموذج لهذه الظاهرة .. انذا امد سبابتي وابهامي بحذر شديد لامسك بسبابتهم المرهفة واضعها برفق على تراث ذلك الفنان المخزومي عيسى بن عبد الله المعروف بطويس.

لقد شهدت المدينة المنورة صولات ذلك المغني الحماسي وجولاته، فشهدت له بزخم الابداع، وضربت به المثل حتى قيل "اهزع من طويس"!

الا ان خلة ما غنصت على اهل المدينة متعتهم بفنانهم القدير، ذلك ان حضرته كان مغرما بالفتنة بين الناس واحترابهم واضطرابهم .. واطيب ما كان يطيب له هو حروب الاوس والخزرج.. وهكذا اهدر الرجل طاقته الفنية على ما يسوء الناس ويكدرهم.

لا فيه ولا في فنه .. لا فيه ولا في أدبه .. لا فيه ولا في سياسته .. لا فيه ولا في صحافته .. لا فيه ولا في شعره .. لا فيه ولا في نثره .. هذا ما سيقوله الخلف الصالح للسلف الطالح من اولئك الذين يملكون اليوم طاقات فنية كبيرة. ويصح فيهم القول "اهزع من طويس" بيد انهم يبذرون طاقاتهم على كل ما من شأنه ان يسوءنا ويكدرنا. واعني

اولئك الذين باعوا وبايعوا وراحوا يتغنون بحروب الاوس والخزرج المعاصرة، يروجون للاقليمية ويباهون بها، يكرسون مفاهيمها وينظرون لسعاتها ودعاتها، ممهدين للفتنة بهوى يتبع وحكم يبتدع مقيمين الدليل على صحة قول الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: "انما بدء الفتن أهواء تتبع واحكام تبتدع!"

لقد تفشت اعراض المذهب الطويسي في العقد الاخير من الزمن: وليس على الصعيد السياسي فحسب بل في مجالات لم تكن تخطر لنا على بال.

واعطيكم مثالا بسيطا لغاية السذاجة، ففي اثناء دورة العاب كأس العالم الاخيرة في المكسيك لاحظت ظاهرة مرعبة: حين خسر العراق تركوا هم الخسارة للعراق وحده وقالوا: "خسر العراق. وحين خسرت الجزائر تنصلوا من بلد المليون شهيد وتمتموا: خسرت الجزائر، وحين كسب المغرب! غمرتهم نشوة النصر القومي فصاحوا: لقد كسب العرب! وحين خسر المغرب عادوا الى انكماشهم الاول: لقد خسر المغرب..

اذا تحقق نصر فهو للعرب جميعا واذا نزلت هزيمة فالمهزوم هو ذلك القطر دون سواه!

لم تقتصر هذه الظاهرة على مجتمع دون سواه. باتت وباء قوميا شاملا حتى ليتساءل المرء: "اين هو الروح القومي العربي؟ ماذا حل بفكرة الوحدة العربية؟ ماذا اصاب الانسان العربي؟"

ويذهب التساؤل الى ابعد من هذا الحد.. يزلزل القلب والروح رعب من صورة ما قد يكون عليه المستقبل: هل يتحلل الوطن العربي من ضوابط القومية المشتركة؟ هل تحل العصبية الاقليمية محل الوحدة العربية؟ هل نصبح "امريكا لاتينية" اخرى؟

وبعد ذلك، وقبل ذلك: هل عدمنا القدرة على مواجهة الطويسية التي تقضمنا من الداخل. وهل يصح فينا المثل القديم:

"دوده من عوده؟!

«الاتحاد» ١٩٨٦/١٠/١٧